وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم الجغرافية

المحاضرة العاشرة
فتح القسطنطينية
محاضرة للمرحلة الثالثة / قسم الجغرافية / مادة تاريخ الوطن العربي الحديث

م.د. اسامة عبد الخالق عايد التكريتي

فَتحُ القُسطَنطينيَّة

وبالتُركيَّة العُثمانيَّة: استانبول فتحى أو قسطنطينيه فتحى)، هو الاسمُ الذي يُطلق على أحد أبرز الأحداث في التاريخ، وهو سُقوط مدينة القسطنطينيَّة عاصمة الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة (أو الرومانيَّة الشرقيَّة، أو الروم) في يد المُسلمين مُمثلين بالدولة العُثمانيَّة، بعد حصارٍ دام

عـدَّة أسـابيع، قـاده السُـلطان الشّـاب ذو الأحـد وعشـرين (21) ربيعًـا، مُحمَّـد الثـاني بـن مُـراد العُثمـاني، ضـدَّ حلـفٍ مُكـوَّن مـن البيـزنطيين والبنادقـة والجنـويين بقيـادة قيصـر الـروم الإمبراطـور قسـطنطين پـاليولوگ الحـادي عشـر. دام الحصـار لمـدة خمسـة وخمسـين يومًـا بدايـةً مـن يـوم الجُمعـة 26 ربيـع الأوَّل حتّـى يـوم الثُلاثـاء 21 جمـادى الأولـى سـنة 857هـ وفـق التقـويم الهجـري، المُوافـق فيـه 5 نيسـان (أبريـل) حتّـى 29 أيَّـار (مـايو) سـنة 1453م وفـق التقـويم اليوليـاني، حينمـا انهارت دفاعات الروم ووقعت المدينة لُقمةً سائغة بيد العُثمانيين.

شـكَّل فـتح القسـطنطينيَّة خاتمـة المُحـاولات الإسـلاميَّة لضـم هـذه المدينـة إلـى دولـة الخلافـة، والتـي بـدأت مُنـذ أوائـل العهـد الأُمـويّ خـلال خلافـة مُعاويـة بـن أبـي سُـفيان واسـتمرَّت خـلال العهـد العبَّاسـي، إلـى أن تكللـت بالنجـاح فـي العهـد العُثمـاني. كمـا شـكَّل هـذا الحـدث (إضـافةً إلـى فـتح منطقتـين روميَّتـين أُخـريين لاحقًـا) نهايـة الإمبراطوريَّـة البيزنطيَّـة، وإلـى حـدٍ أبعـد الإمبراطوريَّـة الرومانيَّـة التـي اسـتمرَّت موجـودةً بهيئـةٍ روميَّـة شـرقيَّة، بعـد أن صـمدت طيلـة 1,500 سـنة تقريبًـا. كـذلك شـكَّل الفـتح العُثمـاني للقسـطنطينيَّة ضـربةً موجعـةً للعـالم المسـيحي والبابويَّـة الكاثوليكيَّـة رُغـم الاخـتلاف والخِـلاف المـذهبي والعقائـدي بـين الكنيسـتين الشـرقيَّة الأرثوذكسـيَّة والغربيَّـة الكاثوليكيَّـة، ذلـك أنَّ المدينـة كانـت تُشـكِّلُ عائقًـا وحـاجزًا أمـام التوغـل الإسـلامي فـي أوروپَّـا، ولمَّـا سـقطت أصـبح بإمكـان العُثمـانيين المضـي قُـدمًا فـي فتوحـاتهم دون التخـوُّف مـن ضربةٍ خلفيَّة تُثنيهم عن أهدافهم.

بعـد تمـام الفـتح، نقـل السُـلطان مُحمَّـد الثـاني عاصـمة مُلكـه مـن مدينـة أدرنـة إلـى القسـطنطينيَّة، وسُـمِّيت «إسـلامبول» أي «تخـت الإسـلام»، ولُقِّـب السُـلطان بالفـاتح أو «أبـو الفـتح». غـادر عـددٌ كبيـرٌ مـن عُلمـاء وفلاسـفة المدينـة، مـن رومٍ وغيـرهم، إلـى الـدويلات والإمـارات والممالـك الأوروپيَّـة المُجـاورة، قبـل ضـرب الحصـار علـى عاصـمتهم وبعـد أن فُـكَّ عنهـا، وأغلـب هـؤلاء حطَّـت بـه الرِحـال فـي إيطاليـا حيـثُ لعبـوا دورًا فـي إحيـاء العلـوم والمعـارف المُختلفـة هُنـاك، ممـا جعل تلك البِلاد رائدة عصر النهضة الأوروپيَّة.

كـان فـتحُ القسـطنطينيَّة حـدثًا مُهمًّـا علـى الصـعيدين الإسـلامي والعـالمي، فعلـى الصـعيد الإسـلامي تحققت نبوءة الرسـول مُحمَّـد التـي يـؤمن المُسـلمون أنَّـه بشَّـر بهـا مُنـذ زمـنٍ بعيـد، وكـان ذلـك بمثابـة تتـويج لسلسـلةٍ مـن الانتصـارات الإسـلاميَّة ودافعًـا ومُحركًـا قويًّـا للجهـاد ضـد الممالـك الأوروپيَّـة، وعلـى الصـعيد العـالمي اعتبـره العديـد مـن المـؤرخين خاتمـة العصـور الوسـطى وفاتحـة العصـور الحديثة.

المُحاولات العُثمانيَّة قبل عهد السُلطان مُحمَّد الثاني

السُلطان الفاتح مُحمَّد خان الثاني، سابع سلاطين الدولة العُثمانيَّة.
الدولـة العثمانيـة والـدول والإمـارات المحيطـة بهـا سـنة 1450م، أي قبـل تربّـع مُحمَّـد الثـاني علـى العرش بسنة واحدة.
خمـدت المُحـاولات الإسـلاميَّة لفـتح القسـطنطينيَّة بضـعة قـرونٍ مُنـذ أن تقسَّـمت الدولـة العبَّاسـيَّة وأخـذ السـلاطين والأُمـراء المُسـلمين ينـزوون فـي الـبلاد التـي اسـتقلّوا بهـا، ونتيجـةً للنكبـات التـي تعـرَّض لهـا المشـرق الإسـلامي جـرَّاء الحمـلات الصـليبيَّة والغـزو المغـولي، ولـم تنـتعش تلـك المُحـاولات مُجـددًا سـوى فـي بدايـة العهـد العُثمـاني. ففـي سـنة 793هـ المُوافقـة لسـنة 1391م،

ضـرب السُـلطان بايزيـد الأوَّل حصـارًا علـى القسـطنطينيَّة وأجبـر الإمبراطـور عمانوئيـل پـاليولوگ الثـاني علـى قُبـول شُـروط الصُـلح، ليتفـرَّغ لقتـال الحلـف الأوروپـيّ الصـليبيّ فـي البلقـان، وبعـد أن تـمَّ لـه النصـر علـى هـذا الحِلـف وأمَّـن الجبهـة البلقانيَّـة وسـيطر علـى قسـمٍ مـن شـبه جزيـرة المـورة، التفـت بايزيـد مُجـددًا نحـو القسـطنطينيَّة بعـد أن امتنـع الإمبراطـور البيزنطـي عـن الوفـاء بالتزاماتـه تجـاه الدولـة العُثمانيَّـة، فقـام بعـزل العاصـمة عـن مُحيطهـا، وأحكـم الحصـار عليهـا بـأن بنـى علـى شـاطئ الأناضـول قلعـة «أناضـولي حصـار» علـى مسـافة ثمانيـة كيلـومتراتٍ منهـا علـى سـاحل مضـيق البوسـفور. وكـاد العُثمـانيّون يُفلحـون بالـدخول إلـى العاصـمة لـولا الاجتيـاح المغـولي للمنطقـة بقيـادة تيمورلنـك، فاضـطرَّ بايزيـد إلـى فـكِّ الحصـار عـن القسـطنطينيَّة والسـير لمُلاقـاة المغـول فـي سـهول أنقـرة، بعـد أن جـدَّد شـروط المُعاهـدة السـابقة مـع الـروم وأضـاف إليهـا شـروطًا أُخرى.

وقـع الحصـار العُثمـاني الثـاني للقسـطنطينيَّة بعـد وفـاة بايزيـد الأوَّل فـي الأسـر بعـد أن أسـره تيمورلنـك فـي معركـة أنقـرة، وبعـد أن انقسـمت الدولـة العُثمانيَّـة إلـى دويـلات وإمـارات، فقـام سُـلطان الروملّـي موسـى چلبـي بـن بايزيـد بمُحاصـرة القسـطنطينيَّة ليسـتأثر بهـا لنفسـه، فاسـتنجد إمبراطورهـا بشـقيق موسـى، مُحمَّـد (المشـهور باسـم مُحمَّـد چلبـي أو مُحمَّـد الأوَّل)، فـأتى مُسـرعًا وأجبـر أخـاه علـى رفـع الحصـار عـن المدينـة بالتعـاون مـع أميـر الصـرب، ثُـمَّ قـبض علـى أخيـه وقتلـه، وذلـك فـي سـنة 816هـ المُوافقـة لسـنة 1413م. آخـر الحصـارات العُثمانيَّـة للقسـطنطينيَّة قبـل فتحهـا كانـت حصـار السُـلطان مُـراد الثـاني بـن مُحمَّـد چلبـي، الـذي توجَّـه علـى رأس قـوَّاتٍ كثيفـة تُقـدَّر بخمسـين ألـف جُنـدي إلـى القسـطنطينيَّة وحاصـرها يـوم 3 رمضـان سـنة 825هـ المُوافـق فيـه 21 آب (أغسـطس) سـنة 1422م للانتقـام مـن الإمبراطـور عمانوئيـل الثـاني الـذي أطلـق سـراح عمُّـه اللاجـئ إلـى العاصـمة، الشـاهزاده مُصـطفى چلبـي المُطالـب بـالعرش العُثمـاني، وأغـراه بـالخروج علـى ابـن أخيـه، فكـان لا بُـدَّ مـن الاقتصـاص مـن الـروم بعـد هـذا، فاشـتبك العُثمـانيّون معهـم فـي قتـالٍ عنيـف عنـد أسـوار القسـطنطينيَّة، لكـنَّهم رجعـوا بـدون أن يتمكنـوا مـن فتحهـا نتيجـة نشـوب ثـورة فـي الأناضـول تزعَّمهـا أُمـراء القرمـان والكرميـان بقيـادة الشـاهزاده مُصـطفى سـالِف الـذِكر. وفـي يـوم 16 مُحـرَّم سـنة 855هـ المُوافـق فيـه 18 شُـباط (فبرايـر) سـنة 1451م اعتلـى مُحمَّـد بـن مُـراد عـرش آل عُثمـان، فعُـرف بمُحمَّـد الثـاني، ولـم يكـن خارجًـا عـن سُـلطانه حينهـا إلَّا جـزء مـن إمـارة القرمـان ومدينـة سـينوپ ومملكـة طرابـزون الروميَّـة بآسـيا الصُـغرى، وصـارت الإمبراطوريَّـة البيزنطيَّـة قاصـرةً علـى مدينـة القسـطنطينيَّة وضـواحيها، فبـدا واضحًا أنَّ أيامها أصبحت معدودة.

دوافع الفتح

كـان للسُـلطان الشَّـاب دوافـعٌ عـدَّة لفـتح المدينـة منهـا مـا هـو مُتـوارث عـن أسـلافه مـن أجـدادٍ ومـن المُسـلمين السـابقين، وأهمُّهـا الـدافع الـديني، ومنهـا مـا كـان اسـتراتيجيًّا واقتصـاديًّا. فمـن جهـة: انتعشـت مـن جديـد، فـي عهـد مُحمَّـد الثـاني، سياسـة الفُتـوح والنظـام المركـزي اللـذان كـان يجـري تطبيقهمـا فـي أيَّـام بايزيـد الأوَّل، فعـادت أغلـب أنحـاء السـلطنة العُثمانيَّـة موحـدة تحـت رايـة سـلطانٍ واحـد، بعـد أن فتتهـا تيمورلنـك عنـد غـزوه الأناضـول وأصـبح بالإمكـان التركيـز علـى التوسّـع بعـدما لُـمَّ مُعظـم الشـتات، وراح تقليـد الغـزو التُركمـاني يتحـوَّل إلـى غايـةٍ داخـل الإطـار الإسـلامي، وكـان العـائق الوحيـد أمـام مُحمَّـد الثـاني، لتنفيـذ سياسـته العالميَّـة، هـو الإمبراطوريَّـة البيزنطيَّـة التـي كانـت مُنـذُ القِـدم المُحـرِّك الأوَّل للتهديـد الصـليبي، فكـان لا بُـدَّ مـن حـل هـذه المُشـكلة كـذلك، ظـلَّ الأبـاطرة الـروم وحكومـاتهم يُقـاومون نصـف قـرنٍ مـن الـزمن بعـد غـزوات تيمورلنـك،

مُعتمدين في ذلك على التلاعب بورقة الأُمراء الطامعين بالعرش العُثماني، والتهديد بشنّ حملاتٍ صليبيَّةٍ جديدة. وهكذا استغلَّ الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر، الذي خلف الإمبراطور يوحنَّا الثامن سنة 853هـ المُوافقة لسنة 1449م، استغلَّ مرحلة الانتقال من عهدٍ إلى عهد ما أن تربَّع مُحمَّد الثاني على العرش، فهاجم الأراضي العُثمانيَّة في أنطاليا، وحثَّ الأُمراء التُركمان في الأناضول على الاقتداء به، فاستجاب له أمير القرمان مما دفع السُلطان مُحمَّد إلى مُهاجمة تلك الإمارة، وعندها هدد الإمبراطور السُلطان بأن يُطلق سراح الشاهزاده أورخان چلبي، المُطالب بالعرش العُثماني، ليُرغم السُلطان على تقديم بعض التنازلات، فأبلغ الصدر الأعظم خليل جندرلي باشا أنَّهُ إذا لم يُضاعف المعاش الذي تدفعه الدولة العُثمانيَّة لِرعاية الشاهزاده أورخان، الذي كان يعيش في البلاط البيزنطي، فإنَّ بيزنطية ستجعل هذا الأمير يُطالب بالعرش العُثماني، فكان ذلك حافزًا إضافيًّا للسُلطان يجعله يعقد العزم على التخلّص من مصدر الإزعاج هذا.

من جهةٍ أُخرى، ورث مُحمَّد الثاني دولةً كانت لا تزال مُنقسمةً إلى قسمين: الأناضول الذي أضحى بلادًا إسلاميَّة اندمجت في حضارة الإسلام مُنذُ زمنٍ بعيد، والروملّي الذي كان قد فُتح حديثًا ولا يزال منطقة ثُغور، وتأثَّر تأثُرًا عميقًا بنظريَّات وتقاليد مُجاهدي الثُغور الذين استوطنوه، كما تأثَّر بمُعتقدات وطُرق الدراويش الصوفيَّة الذين صحبوا هؤلاء المُجاهدين، فكان الوضع يتطلَّب إيجاد صلة بين القسمين، بين العاصمة القديمة بروسة (بورصة) في آسيا الصُغرى، والعاصمة الجديدة أدرنة في الروملّي، وكانت القسطنطينيَّة تُشكِّلُ هذه الصلة. كذلك، إلى جانب المغزى الديني الكبير للفتح، فقد اعتبر السلاطين العُثمانيين قبل مُحمَّد الثاني أنَّ القسطنطينيَّة هي العاصمة الطبيعيَّة لدولتهم، بل يجب أن تكون عاصمة هذه الدولة لما في ذلك من ضروراتٍ استراتيجيَّةٍ مُلحَّة، إذ أنَّ بقائها في أيدي البيزنطيين من شأنه أن يُهدد المُواصلات وعمليَّات نقل القوَّات العسكريَّة ما بين أملاكهم الآسيويَّة والأوروبيَّة، أمَّا فتحها فإنَّهُ كفيلٌ بتشديد قبضتهم على الأراضي التي يحكُمونها، ويخلع عليهم المهابة والعظمة في العالمين الإسلامي والمسيحي.
أيضًا كانت حُكومات أوروبَّا الغربيَّة في ذلك الوقت ترى أنَّ الحكومة البيزنطيَّة حكومة مُنهارة وساقطة لا محالة، فقد تخلَّوا عنها بفعل النكبة التي مُنوا بها في معركة ڤارنا زمن السُلطان مُراد الثاني، وأخذ الرأي الحكومي الأوروپيّ الغربيّ يعتقد أنَّ فكرة الحرب الصليبيَّة الأوروپيَّة لم تعد مُجدية في مثل الظروف الصعبة التي كانت تمُرُّ بها الإمبراطوريَّة، وبالتالي لم يعد هُناك أمل أمام الإمبراطور البيزنطي إلَّا أن يعتمد على نفسه وعلى قوَّته الذاتيَّة للتصدّي للمُسلمين عندما يُهاجمونه، وحيثُ أنَّ لا وجه للمُقارنة بين قُوَّة الإمبراطوريَّة وقُوَّة السلطنة، كان سُقوطً القسطنطينيَّة بعد معركة ڤارنا أمرًا مُتوقعًا، يُضافُ إلى ذلك، فإنَّ الحُكومة البيزنطيَّة لم تُرسل فرقًا عسكريَّةً إلى الجيوش الصليبيَّة في ماريتزا وقوصوه (كوسوڤو) ونيقوبوليس لأنَّها فقدت الرغبة في الدفاع عن نفسها، وعجزت عن إقناع مواطنيها الأرثوذكس المُمعنين في السفسطة بأنَّ الاستشهاد في سبيل الوطن عملٌ مجيد، وتشعَّبت المُشكلات الداخليَّة بفعل التعصُّب المذهبي والقلاقل الدينيَّة. وكان العُثمانيّون يُدركون كُل ذلك، ويعرفون حقَّ المعرفة تبدُّل الظروف والمُعطيات السياسيَّة في المنطقة، فكانت تلك فُرصةً ينبغي استغلالها.
أخيرًا كان فتحُ القسطنطينيَّة حُلمًا يُراود السلاطين العُثمانيين مُنذ عهد بايزيد الأوَّل، وكانت رغبتهم تقتضي بتحويل دولتهم المحليَّة إلى دولةٍ عالميَّة عبر النجاح حيثُ فشلت الدول الإسلاميَّة السابقة، أي تحقيق نبوءة الرسول مُحمَّد. أضف إلى ذلك أنَّ السُلطان مُحمَّد الثاني

كـان يطمـح أن يكـون هـو المقصـود بـالنبوءة، بعـد أن تـأثَّر بأفكـار مُربيـه، وفـي مُقـدمتهم زغـان (زغـانوس) باشـا والشـيخ آق شـمسُ الـدين والمُـلَّا أحمـد بـن إسـماعيل الگـوراني. فكـان الگـوراني يُشـدد علـى تلميـذه مُحمَّـد فـي صـغره بلـزوم وضـرورة فـتح عاصـمة الـروم، وكـان الشـيخ آق شـمسُ الـدين قـد بـثَّ فـي نفـس السُـلطان مُنـذُ صـغره أمـرين، همـا: ضـرورة مُضـاعفة حركـة الجهـاد الإسـلامي ضـدَّ الـروم وحُلفـائهم، وأنَّـه هـو (أي السُـلطان) المقصـود بالحـديث النبـوي. وبهـذا شـكَّلت جميع هذه الأسباب دوافعًا قويَّة ضاغطة ومُغرية في الوقت ذاته، هدف السُلطان إلى تحقيقها.

مُقدمات الفتح

عزل المدينة

عمـد السُـلطان مُحمَّـد الثـاني قبـل هجومـه علـى القسـطنطينيَّة إلـى عقـد مُعاهـداتٍ مـع أعدائـه المُختلفين ليتفـرغ لعـدوٍ واحـد، مُسـتغلًّا إهمـال الإمبراطـور البيزنطـي المُحافظـة علـى تحالُفاتـه مـع الغـرب ومُواصـلاته بـالجنوب، فكانـت عاقبـة خطـأه أن تمكَّـن السُـلطان مـن عزلـه، فوقَّـع مُعاهـدةً مـع جمهوريَّـة البُندُقيَّـة يـوم 13 شـعبان سـنة 855هــ، المُوافـق فيـه 10 أيلـول (سـپتمبر) سـنة 1451م، وتفـاهم مـع حـاكم مملكـة المجـر يوحنَّـا هونيـاد فـي شـهر شـوَّال، المُوافـق لشـهر تشـرين الثـاني (نـوڤمبر) مـن نفـس السـنة، فتعهَّـد لـه بـأن يمتنـع عـن مُسـاعدة حـاكم الأفـلاق ضـد المجـر وعـن إنشـاء الحصـون علـى نهـر الطونـة (الـدانوب)، مُقابـل سـلم وأمـان بـين الطـرفين. وصـادق فـي الوقـت نفسـه جمهوريَّـة جنـوة وراگـوزة وفُرسـان القـدّيس يوحنَّـا، غيـر أنَّ موقـف الجنـويين كـان مُذبـذبًا، إذ فـي الوقـت الـذي تظـاهروا فيـه بـالوقوف علـى الحيـاد أو الإخـلاص للعُثمـانيين، كـانوا يُرسـلون جُنـودهم سـرًّا إلـى القسـطنطينيَّة للـدفاع عنهـا، كمـا أنَّ بـاقي المُعاهـدات بـين السُـلطان والحُكومـات الأوروپيَّـة سـالِفة الـذِكر لـم تصـمد حينمـا بـدأ الهُجـوم الفعلـي علـى القسـطنطينيَّة، حيـثُ وصـلت قُـوَّات مـن تلـك المُـدن وغيرهـا للمُشـاركة فـي الـدفاع عـن المدينـة. إلـى جانـب تلـك المُعاهـدات، أرسـل السُـلطان قـوَّةً عسـكريَّةً إلـى المـورة لفتحهـا ومنـع أميريهـا طومـاس وديميتريـوس الـروميين مـن مُسـاعدة الإمبراطـور قسـطنطين، وبهـذا يكـون قـد عزلـه سياسـيًّا عـن العـالم الغربـي. أمَّـا فـي آسـيا الصُـغرى فقد أخضـع القرمـانيين، مـا قضـى علـى كُـلِّ أملٍ فـي تحـالُفٍ بيزنطي قرماني.

تعكير صفاء العلاقات البيزنطيَّة العُثمانيَّة

قلعة روملّي حصار كما تبدو اليوم.

بـرج خليـل باشـا، أحـد أبـراج قلعـة روملّـي حصـار، وهـو يكشـف مضـيق البوسـفور بشـكلٍ كامـل، مما يُعطي فكرة عن مدى قدرة العُثمانيين على التحكم بمسار السُفن من وإلى المضيق.

تعكَّـر صـفو العلاقـة بـين العُثمـانيين والبيـزنطيين عنـدما أمـر السُـلطان بإلغـاء الرَّاتـب المُخصـص للشـاهزاده أورخـان ردًّا علـى اسـتفزاز الإمبراطـور وتهديـده بـإطلاق سـراح هـذا الأخيـر، وسـعيًا منـه بإيجـاد سـبب لفـتح بـاب الحـرب علـى الـروم، وراح يتجهَّـز لِحصـار القسـطنطينيَّة والقضـاء علـى هـذه المدينـة التـي مـا فتئـت مُنـذُ القِـدم تُهـدد المُسـلمين بـين الحـين والآخـر، علـى الـرُغم مـن المُعارضـة الحـذرة مـن جانـب الصـدر الأعظـم خليـل جنـدرلي باشـا وفريـق عملـه، وشـعر الإمبراطـور البيزنطـي بمـا يُعـدُّه السُـلطان، فتملَّكـهُ الهلـع، وراح يسـتعد هـو الآخـر للمواجهـة. وأقـدم مُحمَّـد الثـاني علـى خطـوةٍ تمهيديَّـةٍ، فأنشـأ قلعـةً جديـدةً هـي قلعـة «روملّـي حصـار»، علـى الشـاطئ الأوروپـيّ إلـى جـوار القسـطنطينيَّة، علـى بُعـد نحـو سـتَّة أميـالٍ منهـا، مُقابـل قلعـة أناضـولي حصـار

التي بناها السُلطان بايزيد الأوَّل على الشاطئ الآسيوي في أضيق نُقطة من مضيق البوسفور (حيثُ ينخفض العرض إلى 660 متر)، ما جعل العُثمانيين يُسيطرون على المضيق ويُراقبون السُفن الآتية من البحر الأسود. وبذلك يكون السُلطان قد كسب موقعًا استراتيجيًّا واقتصاديًّا يحولُ دون وصول المدد من مملكة طرابزون عن طريق البحر المذكور، وبالتالي عزل القسطنطينيَّة اقتصاديًّا، كما أراد أن تكون القلعة قاعدةً لأعماله العسكريَّة في أوروبَّا ومُستودعًا للزاد والعتاد.

تمَّ بناءُ هذه القلعة في زمنٍ قياسيّ (ثلاثة أشهر)، ولمَّا اكتملت بلغ ارتفاعها 82 مترًا واشتملت على 3 أبراج ارتفاعُ كُلٍّ منها 26\70 مترًا، وشغلت مساحة 250,30م2، وكان تصميمها على شكل تخطيط اسم نبيّ الإسلام: «مُحَمَّد»، وسُمِّيت أيضًا «بوغاز كسن حصارى»، أي «القلعة قاطعة المضيق»، وبعد الانتهاء منها ومن إجراء جميع التحكيمات اللازمة، عاد السُلطان إلى عاصمة مُلكه أدرنة في أوَّل شهر أيلول (سبتمبر) سنة 1452م. كان بناءُ القلعة بمثابة النقطة الحرجة التي وصلت إليها العلاقة السلميَّة بين الطرفين، ورأى السُلطان في بناء هذه القلعة مُقدِّمة لإسقاط المدينة، وقد أدرك الإمبراطور ذلك، فأرسل سفيرين إلى السُلطان في أدرنة للاحتجاج، لأنَّ بناء القلعة بنظره يعني خرق السُلطان للمُعاهدة التي سبق أن عقدها والده مُراد مع الإمبراطور البيزنطي، ونصَّت على عدم قيام العُثمانيين ببناء تحصينات على الساحل الأوروبيّ للبوسفور، إلَّا أنَّهُ لم يكن يأمل في تلقّي جوابٍ مُطمئن، وعندما عاد سفيراه بعد أسبوع تحقَّقت مخاوفه، ذلك أنَّ السُلطان أبدى عدم اكتراث، وبيَّن بصورةٍ قاطعة أنَّهُ لم يخرق أيةُ مُعاهدة، وأنَّهُ رجلُ سلام، وبالتالي فإنَّ ما قام به تطلَّبتهُ سلامة دولته وجيشه وشعبه، وأنَّهُ لم يستهدف نُشوب الحرب. نتيجةً لردِّ السُلطان قرَّر الإمبراطور العمل على إيقاف أعمال بناء القلعة، فحذَّرهُ رجال بلاطه أنَّ هذا لا يعني سوى الإسراع في إعلانِ حربٍ غير مُتكافئة، وكان الإمبراطور يُدركُ ذلك، إلَّا أنَّهُ اعتقد أنَّ لا قيمة لتأجيل الحرب. وتبادل العاهلان الرسائل بشأن تبريد حِدَّة المُواجهة، لكن تمسَّك كُلًّا منهما بوجهة نظره قضى على فُرص التفاهم، وفعلًا أدّى اعتراضه على أعمال بناء القلعة إلى نشوبِ الحرب لاحقًا

قضّى السُلطان مُحمَّد الثاني شتاء سنة 1452-1453م في أدرنة يستعد للفتح الكبير المُنتظر، فجمع جيشًا جرَّارًا كان أحد أضخم جيوش ذلك الزمن، وتُشيرُ وثائق الأرشيف العُثماني أنَّ عدد أفراد الجيش تراوح بين 50,000 و80,000 نفر، كان منهم ما بين 5,000 و10,000 إنكشاريّ، وهم خيرة المُشاة العُثمانيّين، بالإضافة إلى مُشاةٍ آخرين نظاميّين ومُرتزقة، والفُرسان السپاهيَّة، وآلاف الجُنود المسيحيّين من الإمارات البلقانيَّة الخاضعة للتاج العُثماني، بما فيهم حوالي 1,500 فارس صربي أرسلهم حاكم الصرب جُريج برانكوڤيتش كجُزءٍ من التزامه بمُساعدة السُلطان عند الحرب، رُغم أنَّه كان قد أرسل أموالًا قبل بضعة أسابيع إلى الإمبراطور البيزنطي للمُساهمة في إعمار وتقوية أسوار القسطنطينيَّة. بالمُقابل، يُشيرُ الغربيّون الذين عاصروا ذلك الحدث إلى أرقامٍ أعلى بكثير مما نصَّت عليه المصادر العُثمانيَّة، فقد أشار الطبيب البُندقي نقولا باربادو إلى 160,000 جُندي عُثماني، وأشار التاجر الفلورنسي يعقوب تيدالدي والمؤرِّخ الرومي جرجس سفرانتزس إلى 200,000 جُندي، بينما قال الكاردينال إزيدور ورئيس أساقفة ميتيليني ليوناردو دي چيو أنَّ عدد العساكر العُثمانيَّة وصل إلى 300,000 عسكريّ. كما عمد السُلطان إلى جمع أحدث الأسلحة المعروفة في ذلك الزمن، وأهمَّها المدافع التي أمر بسبكها بأقطارٍ لم يُسبق أن شوهدت من قبل، ومدافع الهاون التي استُعملت لأوَّل مرَّة في التاريخ، ومنها مدفعًا ضخمًا جدًا عُرف باسم «المدفع السُلطاني» أو «المدفع الشاهاني»، وهو من صُنع مُهندسٍ مجريّ (أو ألماني) يُدعى أوربان عرض على

السُلطان أن يصُبَّ له مدفعًا هائلًا يقذفُ قذائف هائلة تكفي لتهدم أسوار القسطنطينيَّة، فاستهوت السُلطان الشَّاب هذه الفكرة، فأمر بتزويد المُهندس بكُلِّ ما يحتاجه من معدات، ولم تمضِ ثلاثة أشهر حتى تمكَّن أوربان من صنع مدفع عظيم لم يُر مثله قط، فقد كان يزن 700 طن، وبلغ طوله 27 قدمًا (8.2 متر)، ويرمي بقذائف زنة الواحدة منها 600 رطل (272 كيلوگرامًا) والبعض قال 12 قنطارًا (3000 كيلوگرامًا)(1)، ويحتاج جرُّه إلى 100 ثور يساعدها مائة من الرجال، وعند تجربته بحضور السُلطان سقطت قذيفته على بُعد ميل (1.6 كيلومترات)، وسمع دويه على بعد 13 ميلًا، وأحدثت قذيفته الحجريَّة عند سقوطها حُفرةً بعمق قولاج (مسافة ما بين اليدين إذا فُتحتا بشكلٍ مُستوٍ)، وارتكزت في التُراب اللّيّن وبقيت فيه.

إلى جانب القوَّات البريَّة، شيَّد السُلطان أسطولًا كبيرًا لفرض الحصار على القسطنطينيَّة، وهي المدينة المكشوفة على البحر من ثلاث جهات ولا يُمكن أن يكتمل حصارها دون السُفن الحربيَّة، واستعان ببحَّارة وقباطنة مُسلمون ومسيحيّون لقيادة تلك السُفن، وكان أبرزهم يونانيّون من أبناء مدينة گاليپولي. تراوحت أعداد السُفن العُثمانيَّة حسب الشهود المُعاصرون بين حوالي 100 (رواية يعقوب تيدالدي)، و145 (رواية نقولا باربادو)، و160 (رواية أوبرتينو پوسكولو)، وما بين 200 و250 (رواية الكاردينال إيزيدور وليوناردو دي چيو)، و430 (حسب رواية جرجس سفرانتزس). أمَّا التقديرات المُعاصرة فتُشير إلى 126 سفينة تتألَّف من 6 غلايين ضخمة، و10 غلايين عاديَّة، و15 غليونًا أصغر حجمًا، و75 قادسًا (سفينة مجاذيف) كبيرًا، و20 ناقلةً تسيرُ بقوَّة الأحصنة. هذا وقد اعتنى السُلطان مُحمَّد بإعداد الجنود إعدادًا معنويًّا قويًّا وغرس روح الجهاد فيهم، وتذكيرهم بثناء الرسول مُحمَّد على الجيش الذي يفتح القسطنطينيَّة وعسى أن يكونوا هم الجيش المقصود بذلك، مما أعطاهم قوة معنويَّة وشجاعة كبيرة..